



حياة عاشوراء المستلهمة من دور زينب عليها السلام

صلى الله عليك يا سيدي ويا مولاي يا رسول الله صلى الله عليك يا سيدي ويا مولاي يا ابا عبد الله صلى الله عليك يا مولاي وابن مولاي وابن أمير المؤمنين يا عزيز الزهراء يا غريب يا مظلوم يا قتيل العدى ويا مسلوب العمامة والردى لعن الله الظالمين لكم يا ليتنا كنا معكم فنفوز والله فوزا عظيما.

"صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً^١ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ" /138 سورة البقرة. أودع في الإنسان إذ خلق جوهر معرفة الحق وطلبه الثمين ، ولا للباطل أثر في ذراته ، لكن قد يعتريه أو يفرض عليه . من الممكن أن يغلب القبح قواه النفسية ، ويسود التطبع طبعه الحسن ولا يدعه. وهذا يبعثه على الخلود في جهنم والعياذ بالله.

فطرة كل إنسان هي أن يعرف الكمال الوجودي ويطلبه ويبلغه إذا لم تحجبه الموانع. ويؤيد هذا المطلب ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله : (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة) أي أنها محتاجة إلى البحث عنها واستكشافها على يد مستكشف عاقل دؤوب . وتختلف قيمة الذهب عن الفضة مع أن كليهما ثمين ، كما أن أقسام الذهب متفاوتة ، تفاوت أقسام الفضة. القرآن كتاب علم ومعرفة ، القرآن رسالته هندسة الاستعدادات القلبية لطلب الحق . وأرسل الأنبياء : وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ. نعم ليزيلوا الشوائب عن هذا المعدن حتى يظل خالصا. أما المنتفعين به و الذين يفزعون من جهنم باللجوء إلى الحصن الحصين ، شخصهم القرآن بقوله تعالى "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" /فاطر/28

قُبُول الكمال موجود في طبيعة كل إنسان لذلك نجد توبة كثير من الكفار والمسلمين .في شرح هذا الحديث يقول العلامة المجلسي . "لهذا يصير الكفار مسلمين ، ولم يجعلهم بحيث لا يمكنهم الإسلام والعبادات

"صِبْغَةَ اللَّهِ^٢" هذا يعني أن للقرآن دور كالصباغ الذي يضيف صبغته المميزة على الجواهر الثمينة ، والصانع الماهر الذي يجلي صنعته الخاصة في المادة الخام ، ويجعلها دُرًا يهبها ما ليس لديها مما مستعدة لقبولها. بشرط الإلتزام والإتباع ودخول المصنع .

النبوي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذا أي نبيّ عندما بُعث، أتى بمجموعة من الأحكام، بعضها فردية لإصلاح الفرد، وبعضها اجتماعية لبناء المجتمعات البشرية وإدارة الحياة البشرية. هذه المجموعة من الأحكام يقال لها النظام الإسلامي. فعندما نزل الإسلام على القلب المقدس للنبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، بالعبادات والمعاملات وبيئتها النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما من شيء يقربكم إلى الجنة ويبعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به».



و طبّقها وعمل بها، فقد أقام الحكومة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، وطبق الاقتصاد الإسلامي، وأقيم الجهاد واستحصلت الزكاة، فشيّد نظاماً إسلامياً وأصبح النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وخليفته من بعده معمار وقائد هذا النظام. كان الطريق واضحاً وبيّناً، فوجب على الفرد وعلى المجتمع الإسلامي أن يسير في هذا الطريق وعلى هذا النهج، فإن كان كذلك بلغ الناس الكمال، أصبحوا صالحين كالملائكة، وذهب الظلم والشرّ والفساد والفرقة والفقر والجهل بين الناس، ووصل الناس إلى السعادة الكاملة ليصبحوا عباد الله الكمل .

ماذا لو غيّر اتجاه السفينة التي سيّرها النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) عن مسيرها، فما هو التكليف؟؟ لو انحرف المجتمع الإسلامي وبلغ الانحراف درجة بحيث خيف انحراف أصل الإسلام والمبادئ الإسلامية لأنّ الانحراف على قسمين، فتارة ينحرف الناس، وهذا ما يقع كثيراً، لكن تبقى أحكام الإسلام سليمة، وتارة ينحرف الناس ويفسد الحكام والعلماء ومبلّغو الدين، فيحرّفوا القرآن والحقائق، وتبدّل الحسنات سيئات والسيئات حسنات. ويصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، ويحرّف الإسلام 180 درجة

أستجد واجبا يرتبط بإرجاع المجتمع المنحرف إلى الخطّ الصحيح ولعله أجل وأسمى من العبادات الإلهية العظيمة لماذا؟ لأنّ هذا الواجب في الحقيقة يضمن إحياء الإسلام بعد أن أشرف على الموت أو مات وانتهى . أدرك الإمام الحسين (عليه السلام) الخطر واستعد للمواجهة وتطهير العباد والبلاد . الإمام الحسين (عليه السلام) حدد الهدف من حركته في وصيته إلى أخيه محمد بن الحنفية عند خروجه من مكة فأبو عبد الله (عليه السلام) قد أوصى أخاه محمداً بن الحنفية، مرتين: الأولى عند خروجه من المدينة، والثانية عند خروجه من مكة، لعل هذه الوصية كانت عند خروجه من مكة في شهر ذي الحجة فبعد الشهادة بوحداية الله ورسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و... يقول الإمام (عليه السلام): « إِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا ، وَلَا مُفْسِدًا وَلَا ظَالِمًا ، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلْبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي ، أُرِيدُ أَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِيطَالِبٍ ». الإمام الحسين عليه السلام أصر على هذا الهدف وكرره في عدة مواقع، قال من جملة ما قال: لقد سمعنا ممن قد سمع عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: "من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربه ألا وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً"

"ألا فمن كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنني راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى". "قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ" سورة النور /54



الكل يقع عليه التكليف ، من إقترنت همومه بالهم الأعظم والمسئولية الكبرى ، لذلك الإمام حدى حذو جده رسول الله صلى واله الذي كان يصطحب معه بعض زوجاته وعدد من النساء اللواتي شهد التاريخ ببطولتهن ومواقفهن الخالدة في معارك عدة .

أي إن اصطحابه لأهل بيته أمر إلهي وتكليف ديني، وأنه إرادة الله تعالى ومشيبته، وقد أدركت السيدة زينب، هذا الأمر الإلهي والتكليف الديني فقالت لابن عباس عندما سمعت نصيحته للإمام الحسين بأن لا يأخذ النساء معه إلى العراق ، فاعترضت عليه باكية وقالت: "يا بن عباس تُشير على شيخنا وسيدنا أن يخلفنا ها هنا ويمضي وحده؟! لا والله بل نحى معه ونموت معه وما أبقى لنا الزمان غيره " هنا يكمن التصديق بأن الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء وزينبي الخلود .

إن رد السيدة زينب، فيه إشارة واضحة إلى التسليم الكامل لأمر الله تعالى ، وعملها بتكليفها الملقى على عاتقها وتقبلها لهذا التكليف الذي جعلته محور قضيتها الأولى في خروجها مع الإمام . المرأة التي تفردت بكونها تربت في حضن علي وفاطمة عليهما السلام ورضعت من إبهام رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين. لقد كانت السيدة زينب (ع) أشبه امرأة بأمرأة الزهراء (ع)، فهي محدثة وصغيرتها المحدثّة، والمنبع والمُسْتقى واحد والساقي عين فوّارة. وحيث أن مصدر معارف وتلقّي هذا البيت الطاهر هو القرآن الكريم، فلاشك أن للصديقة الصغرى نصيب كبير من ذلك، انعكس على أفعالها وأقوالها ورويتها للأحداث التي تجري حولها. فمن حياض القرآن تنهل ومنه تلهم وتفرغ وهي الناشئة في أجواء الإيمان والعبادة والتقوى، كانت قمة سامقة في عبادتها وخضوعها للخالق عزّ وجلّ كانت ثانياً أمها الزهراء (عليها السلام) في العبادة وكانت تؤدي نوافل الليل كاملة في كل أوقاتها حتى أنّ الحسين (عليه السلام) عندما ودّع عياله الوداع الأخير يوم عاشوراء، قال لها: يا أختاه لا تنسيني في نافلة الليل كما ذكر ذلك البيهقي، وهو مدوّن في كتب السّير وعن عبادة السيدة زينب، ليلة الحادي عشر من المحرم. وأي شيء أدلّ على هذه الحقيقة، من قيامها بين يدي الله للصلاة، ليلة الحادي عشر من المحرم، ورجالها بلا رؤوس على وجه الأرض، تسفي عليهم الرياح، ومن حولها النساء والأطفال، في صياح وبكاء ودهشة وذهول، وجيش العدو يحيط بها من كل جانب. إنّ صلاتها في مثل هذه الساعة، تماماً كصلاة جدّها رسول الله في المسجد الحرام، والمشركون من حوله يرشقونه بالحجارة، ويطرحون عليه رحم شاة، وهو ساجد لله (عزّ وعلا)، وكصلاة أبيها أمير المؤمنين، في قلب المعركة بصفين، وصلاة أخيها سيد الشهداء يوم العاشر ، والسهم تنهال عليه كالسيل. ولا تأخذك الدهشة إذا قلت إنّ صلاة السيدة زينب، ليلة الحادي عشر من المحرم، كانت شكراً لله على ما أنعم، وأنها كانت تنظر إلى تلك الأحداث على أنها نعمة خصّ الله بها أهل بيت النبوة، من دون الناس أجمعين، وأنّه لولاها لما كانت لهم هذه المنازل والمراتب عند الله والناس وروي عن ابنة أخيها فاطمة بنت الحسين قولها: "وأما عمّتي زينب، فإنّها لم تزل قائمة في تلك الليلة في محرابها، تستغيث إلى ربّها فما هدأت لنا عين ولا سكنت لنا رنة" السيدة زينب اعطت زخماً معنوياً كبيراً للإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء



ولعل كتاب المقاتل يذكرون ان الامام الحسين كلما يستشهد احد اولاده يرجع الى خيمة السيدة زينب لتعينه على ألم المصاب بل ان الروايات اكدت انها في ليلة عاشوراء شحذت همم الانصار كذلك، فضلاً عن موقفها في منع الامام زين العابدين الذي انصاع لكلمتها وعكف عن الخروج لنصرة ابيه الامام الحسين حتى لا تخلو الارض من نسل محمد وال محمد.

لقد استلمت الراية بعد عصر عاشوراء وكانت كتلة من الفاعلية والنشاط، لأنها أدركت تشخيصها الآتي، وسعت لتكليفها راضية أولاً بقضاء الله وقدره وساعية لإدارة المسؤولية الملقاة على عاتقها فهي لم تكن مسؤولة عن تشخيص تكليفها فحسب بل هي في هذه اللحظة تقود الركب الحسيني ومسؤولة عن تشخيص التكليف على المستوى العام وأمام الجماعة، إنها تقف مرة أخرى لترى في أرض كربلاء اجساداً طاهرة على الرمضاء، وخياماً تحترق، وأطفالاً تدور في متاهات الفاجعة، من هذا كله تدرك (عليها السلام) النور الذي يضم أرض كربلاء، والجمال الذي يحتضن تلك الأجساد الطاهرة، وصدى كلمات إمامها الشهيد "أخية، لا يذهبن بحلمك الشيطان، أخية، اتقي الله وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لا يبكون، يا أخية إني أقسم عليك فأبري قسمي، لا تشقي علي جيباً، ولا تخمسي عليّ وجهاً، ولا تدعي بالويل والثبور إذا أنا هلكت." كما ان للسيدة زينب دور مهم في الحفاظ على العائلة والأطفال من التشتت والضياع نتيجة الهجمات التي تعرضت لها الخيام.

فضلا عن دورها البارز في تأليب الرأي العام في الكوفة ومخاطبة اهل الشام وفضح الماكنة الاعلامية الاموية على الرغم من تأثيرها في المجتمع آنذاك بل ان تصديها لإلقاء خطبة في الكوفة وعدم السماح للإمام السجاد عليه السلام في ان يخطب ساهمت بالحفاظ على حياته من ان يقتل قبل نزوله من على المنبر وأتاحت الفرصة له لإلقاء خطبته في مجلس يزيد.

نجاه محمد علي